



## الْفَرَاشَةُ

فِي أَحَدِ أَيَّامِ شَهْرِ حُزَيْرَانَ انْطَلَقْتُ بِقَارِبِي إِلَى الْبَحْرِ مِنْ أَمَامِ بَيْتِنَا الصَّيْفِيِّ فِي قَرَيْتِي ، كَانَ الْجَوُّ جَمِيلًا جِدًّا ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رِيحٌ أَوْ مَوْجٌ ، وَبَدَأَ قَارِبِي الصَّغِيرُ يَرْسُمُ خُطُوطًا مُسْتَقِيمَةً عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ وَيَنْطَلِقُ مَسَافَةً جَيِّدَةً فِي كُلِّ تَجْدِيفَةٍ أُجَدِّفُهَا. وَلَعَلِّي اعْتَمَدْتُ عَلَى السَّرْعَةِ فَلَمْ أُبَالِ بِالْإِبْتِعَادِ عَنِ السَّاحِلِ .

إِبْتَعَدْتُ عَنِ السَّاحِلِ حَتَّى انْقَطَعَتْ عَنِّي الْأَصْوَاتُ ثُمَّ أَلْقَيْتُ بِالْمِرْسَاةِ وَبَدَأْتُ أَصِيدُ... أَحْيَانًا كَانَتْ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَسْمَاكِ ( الْأُسْقُمَرِيِّ ) تَهْجُمُ عَلَى الصَّنَارَةِ الَّتِي صَنَعْتُهَا بِيَدِي وَأَحْيَانًا كُنْتُ أَصِيدُ أَنْوَاعًا أُخْرَى .

بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ أَحْسَسْتُ بِرِيحٍ خَفِيفَةٍ ، فَلَمْ أَحْفَلْ بِهَا ثُمَّ اشْتَدَّتْ بَعْدَ قَلِيلٍ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي (( هَذِهِ الرِّيحُ لَنْ تَدُومَ سَتَسْكُنُ بَعْدَ قَلِيلٍ )) وَلَكِنَّهَا انْقَلَبَتْ بَعْدَ فِتْرَةٍ قَلِيلَةٍ إِلَى عَاصِفَةٍ . انْزَوَيْتُ فِي رُكْنٍ مِنَ الْقَارِبِ وَأَنَا فِي حَيْرَةٍ لَا أَدْرِي مَاذَا أَفْعَلُ .. كُنْتُ أَخْشَى سَحَبَ الْمِرْسَاةِ ، لِأَنَّ الْقِسْمَ الْأَمَامِيَّ مِنْهُ كَانَ قَدْ قَارَبَ سَطْحَ الْمَاءِ وَرُبَّمَا يَمْتَلِئُ بِالْمَاءِ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّنِي سَحَبْتُ الْمِرْسَاةَ ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَقْوَى عَلَى مُعَالَبَةِ هَذِهِ الْأَمْوَاجِ بِمَجْدَانِي الْقَارِبِ اللَّذِينَ لَوَّحَتْهُمَا الشَّمْسُ حَتَّى تَحْوَلَا إِلَى مَا يُشْبِهُ عَظْمَةً هَشَّةً وَضَعِيفَةً .

وَعَلَاوَةً عَلَى هَذَا فَقَدْ بَدَأْتُ أَرْتَجِفُ نَتِيجَةَ تَبَلُّي بِقَطْرَاتِ الْمَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَتَطَايَرُ مِنَ الرِّيَّاحِ ، وَالْأَهَمُّ مِنْ كُلِّ هَذَا أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ قَادِرًا إِلَّا عَلَى سِبَاحَةٍ بِضِعَةِ أَمْتَارٍ فَقَطْ .

وَبَدَأْتُ أَتَطَّلَعُ عَلَيَّ أَبْصُرُ سَفِينَةٍ أَوْ قَارِبًا مَارًا بِالْقُرْبِ مِنِّي وَأَنَا أَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى .

-أَنْقِذْنِي يَا رَبِّ! ... وَأَنْقِذْ كُلَّ مَلْهُوفٍ مِثْلِي!-



لَا أَدْرِي كَمْ لَبِثْتُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَأَنَا أَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى ... وَلَكِنْ أَذْكَرُ أَنَّي جَفَلْتُ عِنْدَمَا مَرَّ شَيْءٌ  
بِالْقُرْبِ مِنْ وَجْهِي حَتَّى كَادَ أَنْ يُلَامِسَهُ .. كَانَ هَذَا فَرَاشَةً بَيْضَاءَ تَطُوحُ بِهَا الرِّيَّاحُ كَوَرَقَةٍ  
خَفِيفَةٍ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشَّمَالِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُسْتَمِرَّةً فِي طَيْرَانِهَا بِشَجَاعَةٍ فِي اتِّجَاهِ السَّاحِلِ  
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ضَعْفِهَا.

أَحْسَسْتُ فَجَاءَةً بَارْتِفَاعٍ مَعْنَوِيَّاتِي، وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَهَا مُرْشِدَةً لِي. وَبِسُرْعَةٍ سَحَبْتُ  
الْمِرْسَاةَ وَبَدَأْتُ أَجْدِفُ نَحْوَ السَّاحِلِ وَأَنَا أَتَابِعُ هَذِهِ الْفَرَاشَةَ بِنَظْرِي .. جَدَفْتُ بِكُلِّ قُوَّتِي حَتَّى  
أَحْسَسْتُ بِأَنَّ عَضَلَاتِ يَدِي تَكَادُ أَنْ تَنْفَجِرَ، وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ وَصَلْتُ إِلَى السَّاحِلِ.

كَانَ أَفْرَادُ الْبَيْتِ قَدْ قَلِقُوا عَلَيَّ وَبَدَأُوا يُرَاقِبُونَ الْبَحْرَ بِمَنْظَرٍ مِنْ قُرْبٍ وَشَاهَدُوا ( شَجَاعَتِي )  
وَأَنَا أَجْدِفُ فِي تِلْكَ الْعَاصِفَةِ وَبَدَأُوا يَفْخَرُونَ بِأَبِيهِمُ الشُّجَاعِ!!! عَلَى أَيِّ حَالٍ وَصَلْتُ السَّاحِلَ  
وَسَحَبْتُ الْقَارِبَ وَرَمَيْتُ بِنَفْسِي لَاهِنًا قُرْبَ مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ فِي حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ ...

بَدَأْتُ أَتَطَّلَعُ فِيهَا حَوَالِيَّ وَأَنْفَاسِي تَتَلَاحِقُ وَأَنَا أَشْعُرُ بِأَنَّي وُلِدْتُ مِنْ جَدِيدٍ ، أَوْ رَجَعْتُ إِلَى  
الدُّنْيَا مِنْ جَدِيدٍ!؛ رَأَيْتُ فَرَاشَةً بَيْضَاءَ وَهِيَ تَطِيرُ فَوْقَ زَهْرَةٍ أَسْفَلَ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ.

وَرَأَيْتُ ابْنَتِي الصَّغِيرَةَ تُرِيدُ أَنْ تَلْفَ مِنْ وَرَائِهَا بِصَمْتٍ لِكَيْ تَقْبِضَ عَلَيْهَا ... كَانَ صَوْتِي قَدْ بَحَّ  
مُنْذُ سَاعَةٍ مِنَ الْخَوْفِ ، وَلَكِنِّي حِيَالُ هَذَا الْمَنْظَرِ أَحْسَسْتُ بِرُجُوعِ قُوَّةِ صَوْتِي ، لِذَا هَتَفْتُ بِقُوَّةٍ  
مُنْبَهًا وَمُحَدِّرًا إِيَّاهَا مِمَّا تُرِيدُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ . وَقَفْتُ، وَلَكِنَّهَا اسْتَدَارَتْ وَسَأَلَتْنِي وَهِيَ تَبْتَسِمُ:

- هَلْ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ أَضْعَفُ مِنَ الْفَرَاشَاتِ فِي نَظْرِكَ يَا وَالِدِي ؟

قُلْتُ وَأَنَا أَحْسُ بِرُجُوعِ بَحَّةِ صَوْتِي:

-بِلا شكَّ يَا بُنَيَّتِي ! ... بِلا شكَّ ... هُنَاكَ الْكَثِيرُ ... وَأَحَدُهُمْ هُوَ الْوَاقِفُ أَمَامَكَ ...